شعر أهل مصر

في العصر الحديث

شوقي ، حافظ ، مطران ، علي طه ، البارودي ، نامي ، الصبرفي

نشرت مجلة « آج نوفو [illegible] » وهي مجلة فرنسية تعنى بالآداب والفنون وتصدر في باريس مقالاً قيماً في عدد أغسطس سنة ١٩٢٩ للأستاذ نعيم قطاط تناول فيه الشعر الحديث والشعراء المعاصرين في مصر ننقله فيما يلي :

منذ ما غزا المغول البلدان العربية ، وفتح تاميرلان مصر ، شهدت الحضارة العربية أحلك عهد في تاريخها ، فقد كانت كل كتابة أدبية باللغة العربية تعد في نظر المغول والعثمانيين آية من آيات الوطنية ، ومن ثم فهي عمل عدائي يناهض سلطانهما .

ولولا ان وجدت العربية في القرآن عاصماً وملاذاً لجاز ان تمحي لغة الاسلام المقدسة في تلك الحقبة الحالكة من تاريخ هذه البلاد .

وإذا كان تاميرلان قد أذكى الشعلة الوطنية العربية بعد إذ أوشكت أن تصبح رماداً ، فإن آثار هذا الإذكاء في جوانب النشاط الفكري لم تأت في صورة من النهضة الأدبية العربية إلا في أوائل القرن العشرين .

وقد استأثرت هذه النهضة بأمرين أولهما إن اللغة العربية التي لم تستخدم أجيالاً متعاقبة قد بدأت تظهر كأداة غير مليمة في التعبير عن الحقائق المعاصرة التي تختلف كل الاختلاف عن نظائرها في القرون الوسطى . وثانيهما إن تأثير الثقافة الأوربية — وخاصة الثقافة الفرنسية — حال دون ظهور فكر عربي خالص ، ولم يتسن للنهضة الأدبية العربية أن تأخذ بسبيل الازدهار إلا في ميادين الشعر والشعر وحده .

وعند ما يفكر المرء في مراكز الإنتاج الشعري المعاصر في مصر لا بد أن يخطر على

الذهن على البديهة اسما شاعرين من فحول الشعراء هما حافظ إبراهيم، وأحمد شوقي .

أما حافظ وقد مضى على وفاته نيف وخمس عشرة سنة فيوشك اسمه أن يذهب في أغوار النسيان على مرّ الزمان . وكان حافظ المنحدر من أسرة متواضعة هو شاعر الشعب الذي يحس بإحساسه ويشعر بشعوره ويدرك رغائبه وحاجاته . وقد حثّ الشعوب العربية علانية في شعره الجميل على المطالبة باستقلالها وبعث حضارة الاسلام .

وقد جاهد حافظ ليقلل الى أبعد حدود التقليد الشعراء القدامى قبل الإسلام وبعده .

ولحافظ الفضل مع ذلك في أنه جعل الشعر نابضاً بالحياة ومؤرخاً لأحداثها بعد ما أوشك أن يفقد ـ بدونه ـ هذه الخاصّة فلا يعبر عن أفكار أهل هذا العصر . ولم يخلف حافظ أحد من بعده . فهو لا يزال واحد زمانه . ومن أجل هذا كان لإنتاجه الأدبي خطره وأهميته ، إلاّ أنه لا بدّ لنا من أن نقرر هنا إن هذا الخطر محدود ، ذلك لأن الشاعر لم يستطع أن يخلق شخصيات تتميز بها مسرحياته أو أن يضفي معاني فلسفته على هذه المسرحيات[1]

وفي المقدور ان نستثني من هذه المسرحيات بعض الحوار الذي تتألف منه أشعار تهز المشاعر هزّاً وتأخذ بالألباب

ولم تكن هذه حال صاحبه شوقي فقد ولد من أسرة غنية وتلقى قسطاً من التعليم موفوراً ، وأتاحت له إقامته المتعددة في فرنسا أن يغترف من مناهل الثقافة الغربية .

ولقد حاول شوقي مع حرصه على أوزان العروض القديمة أن يجعل في أطايين كثيرة مكاناً للشعر الغنائي وأن يبدع في التصوير بغير أن يجافي ذلك قوافي الشعر وأوزانه .

وكان شوقي على غرار صاحبه حافظ مرهف الشعور شديد التأثر بمشكلات عصره ، وكثيراً ما نظم قصائد سياسية في مناسباتها . ولقد طالع العربية بقصيد جمع بين الوفرة والإجادة .

على أن أكبر عمل انفرد به شوقي هو مسرحياته الشعرية التي ستظل مقطوعة الضريب في الأدب العربي . وخليقٌ بنا في هذا المقام أن نشير الى أن الشعراء القدامى من العرب لم يخلفوا لنا تراثاً من هذا الشعر المسرحي . وفي وسعنا أن نذهب إلى القول بأن الأدب العربي

(١) يعني الكاتب احمد شوقي بك لا حافظ ابراهيم بك

خلا من أدب القصة ما خلا القرآن، وقصص ألف ليلة وليلة التي لا تعد في ذاتها انتاجاً أدبيًّا بمعنى الكلمة.

ولقد أحسَّ شوقي بالفن المسرحي العالمي من كبير شأن عند ما تذوَّق مسرحيات راسين، وشكسبير، وكورنى

وكان في وسع الشاعر أحمد زكي أبو شادي أن يقتفي آثار حكماء العرب في القرون الوسطى. أولئك الذين كانوا يجمعون في وقت واحد بين الفلسفة والعلم غير أنه بدَّد هذه الموهبة بكتاباته عن تربية النحل وتصدره شعراء الطليعة.

وقد كان ينشر في كل عام ديوان شعر من أربع مئة صحيفة يضم قصائد مختلفة من نظمه

وقد أراد أبو شادي أن يجدد الأوزان بإدخاله قواعد من أوزان الشعر الانجليزي. وجاءت النتيجة بين بين، وأخذ أبو شادي يطالع الناس من خلال دواوينه الوفيرة الإنتاج بقصائد تبعث على الاعجاب، ولكن أبا شادي حاد فهجر الشعر في عام ١٩٣٦ ووقف جهده على العلم.

أما الشاعر ابراهيم ناجي فشعره أقل من حيث وفرة الانتاج غير أن أكثر هذا الشعر الذي ينظمه من الروائع، ولقد كتب ثلاث قصائد جميلة عن الطبيعة فأبدع وأجاد وهو يكتب الآن قصائد «كالبرشام» لبعض المجلات المصوَّرة

وبين الشعراء من الشباب الذين أخذوا أنفسهم بالتقريض وأكثرهم في هذا الباب اهتماماً بالشعر الشاعر حسن كامل الصيرفي فلقد حاول أن يبعث فن شعراء العرب في الأندلس بما فيه من موسيقى وجمال وقصائده في الغالب صوفية تسترجي أحياناً معاني رمزية.

ويجيء دور خليل مطران — وهو شاعر يتقاسمه لبنان ومصر — ولقد عاش يحمل لقب «شاعر القطرين» وشعره نابض بالحياة وهو معدود عند الناس أفضل شاعر في جيله.

وبين عامي ١٩٣٠ و١٩٣٦ ظهرت مجلة «أبولو» وكان اسمها وحده يعلن عن برنامجها وقد التف من حولها شعراء من الشباب يحبون الشعر ويخلصون لرسالته اخلاصاً لا تشوبه شائبة، وليس لأيهم من وراء الشعر غرض الأ حب الشعر ذاته.

ومع أن هؤلاء الشعراء من الشباب لم يؤلفوا مدرسة جديدة للشعر، فقد أراد كل

منهم أن يطبع الشعر بطابع العصر وكان ألمع هؤلاء الشعراء وأكثرهم تألقاً في سماء القريض أحمد زكي أبو شادي ، وابراهيم ناجي ، وحسن كامل الصيرفي ، ومحمود حسن اسماعيل ، وعلي محمود طه .

ولقد وعد الثلاثة الأول أن يطالعونا بخير ثمرات الشعر في مصر غير انهم مع الأسف لم يؤدوا رسالتهم الأداء الكامل . أما الرابع والخامس من هؤلاء الشعراء الحيية وهما محمود حسن اسماعيل ، وعلي محمود طه ، فقد وجدا جمهوراً يتذوق شعرهما ويقبل عليه ويرجع هذا الاقبال الى ما تمتاز به شعر هذين الشاعرين من رشاقة وموسيقى على انه شعر ليس فيه من العمق الا القليل .

وكلاهما متشبع بالفكرة الرومانتيكية غير أن السبيل التي يسلكانها لا تبشر بمستقبل للشعر المصري . فهل لنا أن نتلمس هذا المستقبل في شعر عبد الرحمن بدوي ؟

يحاول عبد الرحمن بدوي وهو من المدرسة الوجودية الالمانية أن يكشف الوجودية في الاسلام، قد يكون هذا الأمر كبير النفع من الناحية الفلسفية ولكن انتاج عبد الرحمن بدوي من الشعر هزيل جداً .

ويلي هؤلاء الشاعر جورج حنين ، وهو شاعر من مدرسة السيريالزم يعبر عن آرائه بالفرنسية وربما كانت شهرته في فرنسا أكثر منها في البلدان العربية ذلك لأن الشعر المصري لا يزال بعيداً كل البعد عن السيريالزم .

قد يكون لنا — بعد هذه العجالة أن نقرر أن ليس للشعر المصري المعاصر كبير أهمية غير أنه كما قد قال لي في العام الماضي الكاتب المصري الكبير الدكتور طه حسين إذا كانت صورة الشعر العربي الذي يقدمه شعراء مصر الآن لا تبعث على التشجيع ولا تنم عن ثروة من الشعر ، فلا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن مصر ليست إلا قسماً من العالم العربي ، وان للشعر العراقي والشعر اللبناني أهميتهما ، وإن وراء ما ينتجه شعراء هذين البلدين مستقبلاً زاهراً للشعر العربي .

ترجمة : مصطفى البتي